طبق الاصل

مؤيد نعمة

حرب العراق الخفية

بقلم :باباك و ايف كونانت و رود لاند

عندما جاء المختطفون الى زينة القشطيني، كانت ترتدي احدث حلة، كما قالت احدى صديقاتها. كانت ترتدي ساعة قيمتها ٥٠٠٠ دولار، اظفار يديها مشذبة و شعرها يحمل لونا ينسجم مع عينيها الزرقاوين. كان العديد من صديقاتها ناشطات في حقوق المرأة، و لكن القليل منهن كن عصريات بشكل متميز مثل القشطيني. كانت مطلقة، واماً وحيدة في أواخر الثلاثينات من عمرها تعيل طفلين و تعمل بدوام كامل في المكتب، كما تدير صيدلية مع شريكها في العمل الدكتور زياد باهو.

كان الوقت مساء في الصيدلية، و كان كل من القشطيني و باهو خلف الطاولة عندما دخل ستة رجال ببدلات رسمية شاهرين بنادقهم الاوتوماتيكية. قام الرجال بلف شريط على فمي القشطيني و باهو، ثم انطلقوا بهما في سيارتين. انتظر اقارب المختطفين طلب الفدية الذي لم يصل قط. عندما عثر على الجسدين بعد عشرة ايام، بالقرب من الطريق السريع الى الجنوب من بغداد، كان باهو مقطوع الرأس. وكانت القشطيني متشحة بحجاب اسود طويل مفضل لدى المتطرفين الاسلاميين، و وشاح يلف رأسها- و هو الشيء الذي لم ترتده في حياتها قط. كانت الدماء تكسوها من طلقة وحيدة في الصدغ.

كانت الرسالتان التوأم، حياتها و موتها، لا يمكن ان يخطئهما المرء. هنالك الكثير من النساء في العراق اللائي يتطلعن الى الحرية التي تعدهم بها تجربة العراق مع الديمقراطية. كما ان هنالك متشددين ممن قد يقدمون على قتلهن بسببها. كانت القشطيني واحدة من العديد من النساء العراقيات البارزات اللائي قتلن، على ايدي المتطرفين الاسلاميين، كما يبدو؛ قتل ٢٠ منهن في الموصل فقط، و ثلة في بغداد. ففي الاسبوع الماضي فقط مزقت رصاصات جسد مقدمة برامج تلفزيونية وواحدة في الرأس. رائدة محمد واكع وزان اختطفت من قبل مسلحين في الموصل يوم ٢٠ شباط. قرر زوجها عدم اقامة العزاء لها بعد ان تلقى تحذيرا من المتمردين بان لا يقيم المأتم.

ان الارهابيين أقلية، ومع ذلك فإنهم لا يشكلون القلق الوحيد للعلمانيين العراقيين. فبدخول المسؤولين العراقيين الاسبوع الثالث من التجاذبات حول تشكيل حكومة جديدة، تشعر قادة النسوة العراقيات بأنهن سوف يخسرن. وبحسب ظواهر الامور، ينبغي عليهن ان يفرحن. فما يقارب ثلث المجلس الوطني المنتخب حديثا نساء، وهي ظاهرة غير مسبوقة في المنطقة. في العربية السعودية، على سبيل المثال، لا تستطيع النساء ان يدلين بأصواتهن). كما وافق السياسيون العراقيون على قانون انتقالي يشجع على الحقوق المتساوية للنساء في الدستور الجديد. و لكن تشكيلة مجلس الحكم كانت نتيجة لمحاصصات مفروضة من قبل السفير السابق بول بريمر. لم يمنع الحكومة السابقة، مجلس الحكم المعين، من فرض قانون الشريعة الاسلامية على الاحوال الشخصية سوى الفيتو الذي كان يتمتع به بريمر. لكن امريكا لم تعد تملك مثل هذا الفيتو.

> أطلق المتطرفون النار على نساء ناشطات في الشوارع و قتلوهن في الخفاء. وتهديدات اخرى اكثر خبثا- و قد تتطور الامور.

كان العراق في مرحلة ما قبل الحرب تحت وطأة دكتاتورية فظة، و لكنه كان يمتلك سجلا جيدا في حقوق المرأة، في الاقل بمقاييس النظام. فقد كان بامكان المراة ان تطلق زوجها، والحصول على الميراث، وحتى الاحتفاظ بالأطفال بعد الطلاق. كما تسلمت النساء وظائف اختصاص، بعضها عالية المستوى. كان هنالك فرص متساوية في التعليم، وقلما كانت ترتدي حجاب الرأس في المدن، باستثناء المناطق الشعبية عالية الكثافة السكانية. " ان نظام البعث، رغم العسف و الارهاب، قد عمل خيرا للمراة" كما قالت العراقية-الامريكية امل رسام من "بيت الحرية" ، مجموعة مدافعة عن المرأة في الولايات المتحدة.

لقد لاحظت الناشطات تغيرات باتجاه الاسوأ، لم يكن يتصورنها ممكنة. ان حضور الطالبات الى المدارس و الجامعات في تناقص، طبقا لتقرير "البيت الحر" ، الذي سيصدر في ايار. " قالت النسوة قابلتهن في بغداد ان عليهن الان ارتداء الحجاب عندما يخرجن من البيت، خوفا من المضايقات" كما تقول رسام، التي كتبت الجزء العراقي من التقرير. داليا، امراة متزوجة، ٢٨ سنة، تصف كيف كانت عائدة الى البيت قبل ستة اشهر في بغداد عندما اوقف ثلاثة رجال السيارة بجانبها و عنفوها بشدة لارتدائها الجينز و القميص. " اني مسيحية و لست مسلمة" قالت لهم. قفز احدهم الى الخارج و حاول تمزيق قميصها، صارخا" لقد ذهب زمن صدام. على الجميع احترام الاسلام". لحسن الحظ، تدخل المارة. " لقد كنا نعيش في العراق حياة متواضعة مدة تزيد على نصف قرن " قالت يانار محمد، رئيسة منظمة حرية المراة في العراق." ان هذا المجتمع ليس مجتمعا اسلاميا محافظا كما يصوره الغرب. لقد أدهشنا صعود الاسلام السياسي".

لقد اجبر الخوف من الهجمات من قبل المتطرفين الاسلاميين العديد من النسوة على البقاء في البيت؛ تقدر منظمة "النساء من اجل النساء" بان الملايين حبيسات البيت بسبب تهديدات استخدام العنف. " انها مرحلة حرجة" كما تقول الناشطة نبأ البراك، استاذة البيولوجي في جامعة بغداد. "ولكن حتى الان، فان الشيء الاكثر اهمية هو الامن. موضوع المرأة سيأتي في المرتبة الثانية. ان لم يكن هناك امن، لن نتمكن حتى من الخروج الى الشوارع للاحتجاج حول امر ما مناهض لحقوقنا". و عندما حاول مجلس الحكم السابق تطبيق قانون الشريعة في كانون الأول ٢٠٠٣، احتجت مجاميع النساء في الشوارع، و اقنعت حركتهن بريمر بالتدخل و منع تطبيق القرار. ان تظاهرات كهذه قد تقدم ببساطة اهدافا سهلة للمتمردين.

كانت صاحبت الصيدلية القتيل احد هذه الاهداف. "عاشت زينة القشطيني كل حياتها في بغداد – كانت ناشطة و مستقلة و معتادة على الخروج في الملابس الغربية" كما تقول منال عمر، التي تدير مكتباً تابعاً الى "نساء من اجل النساء" " لم تكن تدرك الى أي مدى تغيرت بغداد". تقول زينب سالبي، عراقية-امريكية اسست "نساء من اجل النساء في واشنطن:" كنا هدفا لعمليات الاغتيال بطريقة منظمة جدا في العراق. كن جميعا يمتلكن السيرة الذاتية: التعليم، العمل نفسها، امراة صريحة حافظت على نظام حياتها القديم".

هنالك عمليتا اغتيال ضد ناشطات أرهبتا بشكل خاص الجمعية النسوية جيدة التنظيم في بغداد. فقبل اسبوعين فقط من اغتيال القشطيني ، اختطفت الناشطة الهام(طلب اقاربها منا عدم ذكر اسم عائلتها) بالقرب من بؤرة المقاومة (ابو غريب)، ضاحية من ضواحي بغداد عرفت بسجنها الذائع الصيت. كان لدى الهام حقيبة مليئة بالنشرات التي تعلن عن مؤتمر نسوي و دليل بزميلاتها من الناشطات. لم تشاهد قط بعد ذلك، و اعلنت عائلتها عن وفاتها." كان لديها تقريبا جميع ارقام هواتفنا، و تعرف كل اماكن و اسماء اللاعبات الاساسيات العاملات في مواضيع المرأة. " كما تقول عمر. كما فقدت ايضا احدى زميلات الهام بعد اسبوع واحد فقط. اخريات قمن بإخفاء انفسهن، و البعض منهن ارتدين ستراً واقية و حملن مسدسات. انتقلت عمر الى عمان، الاردن، بعد اختطاف ومقتل مديرة "كير" ، مارغريت حسن، وهي سيدة عراقية . بريطانية ، السنة الماضية. " من المرعب ان ندخل في عصر يتصل فيه بعضنا بالأخر للتأكد بأنه ما زال على قيد الحياة" كما قالت عمر.

كان العديد من الهجمات الخطرة على الناشطات قاسية جدا، حتى بقياسات التعطش للدم من جانب المقاومة في العراق. كانت آمال معملجي في عملها بوزارة البلديات و الاشغال العامة مدة شهرين عندما هوجمت من قبل الارهابيين في ٢٠ تشرين الثاني السنة الماضية؛ كانت معروفة بوصفها عضوة بارزة في "الشبكة النسائية" ، منظمة تلعب دور المظلة التي تنضوي تحتها ٨٠ مجموعة عراقية. احاط بسيارتها اربعة رجال مسلحين ب (الكلاشنكوف) في شارع ببغداد و امطروها بمائة وستين اطلاقة، اصالها ما لا يقل عن عشر منها، طبقا لمصادر الشرطة." ان هذا مناقض لسنوات و سنوات من التقاليد، الكرامة و الثقافة حيث النساء في مأمن من العنف المنظم" كما تقول سالبي." تقليديا، لا يفترض ان تختطف النساء و لا يفترض ان يتم اغتيالهن".

تقاد حملة الاغتيالات من قبل المتطرفين الاسلاميين ،. و لكن كان هنالك ايضا تهديدات من متطرفين آخرين. فلة خليل، ٢٠ سنة، لاحظت تغيرا يتسلل الى المناطق المجاورة لها وسط بغداد بعد ان استولى اتباع رجل الدين مقتدى الصدر على جامع هناك. " كنت اشعر كأني تحت الرقابة". كف الشباب في العمارة التي تضم شقتها عن التحدث اليها ؛ وتوقف حارس شاب عن اصطحابها الى باب شقتها. و قبل ما يقارب الثلاثة اشهر، ابتدأت التهديدات. جاء التهديد الاول من شاب كانت على معرفه به داخل العمارة: لا ترتدي بنطالا ضيقا او تتركي شعرك من دون حجاب. تجاهلته فله . و بعد ما يقارب الشهر، نقل تهديد آخر الى والدها: لا تدع ابنتك ترتدي البلوزة. و جاء التحذير الاخير قبل اسبوعين و سلم بشكل مباشر الى فله: توقفي عن العمل مع المنظمة النسائية و الا سوف نقتلك. حولت التحدث الى رجال في العمارة يذهبون بشكل منتظم الى جامع المليشيا، على امل ان يتم سحب التهديد بالقتل. رفضوا التحدث اليها." ان هؤلاء الاشخاص يمتلكون افكارا رجعية" كما تقول فله، مفرقعة اصابعها بعصبية." ليس بامكانك التحدث اليهم بطريقة طبيعية" . تتجنب فله الان الظهور في المجمع السكني، و تحاول التسلل عند الدخول و الخروج للعمل من دون ان يلاحظها احد.

تشارك النساء من امثال فله قلقها الاوسع حول الاتجاه الذي ستسلكه الحكومة الجديدة. ستكتب الحكومة المنتخبة مسودة دستور جديد؛ و اكثر المسائل اثارة للجدل هو قانون الاحوال الشخصية، و المدى الذي ستؤثر فيه المفاهيم الاسلامية. ان لب القضية قد تم وضعه في قانون ادارة الدولة الانتقالي الذي وافق عليه القادة العراقيون، وهو يشير الى ان الاسلام"مصدر للتشريع" للعراق. يرى العلمانيون العراقيون ذلك يعني احدى المصادر، ولكن ليس المصدر الوحيد. و يرى قادة الشيعة ان ذلك يعني ان يكون المصدر المهيمن لصياغة القانون.

ان طريقة صياغة ذلك في الدستور سوف تحدد الحقوق التي تمتلكها المرأة، ان كان الحق في العمل اذا ما اعترض الزوج على ذلك(الامر الذي يدينه رجال الدين المحافظون)، او حق الزوج في امتلاك اكثر من زوجة واحدة. ان جعل الاسلام المرجع في مثل هذه المسائل قد يعني ترك تفسيرات قانون الاحوال الشخصية الى رجال الدين." في الكثير من الحالات لا يكون القرآن واضحا في بعض المواضيع" كما تقول ميسون الدملوجي، مرشحة في الانتخابات الاخيرة. "لذلك فان الخطر الحقيقي هو احتمال ان يقوم رجال الدين بتقرير كيفية حل المسألة" او ، من وجهة نظر منظمة حرية المراة في العراق:" الشريعة لا تعني الا ممارسة التمييز المنظم ضد النساء، و حرمان النساء من بعض الحقوق التي كانت لديهن تحت نظام البعث السابق"

سيتوجب المصادقة على الدستور من قبل ثلثي الجمعية الوطنية، لذلك فان الكتلة الشيعية المهيمنة ستحتاج الى بناء تحالفات مع المجموعات العلمانية. سيكون لهذه المجموعات اجنداتها الخاصة ، و لكن بعض اللاعبين المهمين ينوون جعل حقوق المرأة موضوعا مركزيا، فالاكراد العلمانيون، على سبيل المثال، كانوا متمسكين بمزيد من الاستقلال الذاتي لمناطقهم في الشمال. و لكنهم يريدون ايضا ضمانات في المواضيع الاجتماعية، تشمل حقوق المرأة. "لا يمكن ان نقبل بنظام متطرف في بغداد ثمنا لمزيد من الحكم الذاتي" كما يقول مسؤول كردي كبير.

حاليا في جنوبي العراق، يتم تطبيق الشريعة بشكل روتيني في المحاكم- رغم ان قوانين مرحلة صدام تعطي النساء حقوقا اكبر – كما تقول اسيل عبد الخالق، محامية تترافع في قضايا الاحوال المدنية." لديهم القانون نفسه الذي في بغداد و لكنهم يطبقون قانون الشريعة. سوف تطبق الحكومة المقبلة الشريعة الى ابعد الحدود." و حتى في كركوك، وهي المدينة التي تقع في الشمال وتتصف بالتنوع الديني كان يرش على النساء الحامض لعدم تغطية الجسم بشكل مناسب، كما تقول صن كول جابوك، سياسية من كركوك نجت من عدة محاولات اغتيال - استسلمت اخيرا و ترتدي الان حجابا، رغم انها تصر على اللون الوردي الصارخ. " علينا ان نخرج رجال الدين من الحكومة" كما تقول." ان لم نفعل الان، فإننا قد نخسر حقوقنا الى الابد". وبالنسبة الى النساء العراقيات المستقلات، المحصورات بين الارهابيين من الاسلامويين و المتزمتين التقليديين، فان المعركة من اجل روح العراق قد تستغرق اجيالا.

ترجمة: فاروق السعد
عن: نيوزويك

أية اوروبا نريد؟

بقلم : ماري لور جيرموت

تحت عنوان (أية اوروبا نريد) اجرت صحيفة لوفيغارو الفرنسية سلسلة من اللقاءات المهمة مع العديد من المفكرين والكتاب ورجال السياسة وزعماء الأحزاب والمنظمات والشخصيات الفاعلة وكرست هذه الحلقة لاحدى الركائز الاساسية بين المحافظين الجدد وهي " ريتشارد بيل" اب العقيدة الاميركية الحالية ورئيس مجلس سياسة الدفاع في البنتاغون الذي يعد من المجالس المؤثرة جداً.

لوفيغارو: في آخر اعمالك (نهاية الشر) ستراتيجيات للنصر في الحرب على الارهاب ، الذي كتب بالتعاون مع المحافظ الجديد ، دافيد فرام ، تبدي نوعا من التشاؤم حول مستقبل العلاقات الاوروبية . الاميركية وقسوة كبيرة نحو فرنسا التي تضعها على مستوى العربية السعودية نفسه . هل بوسعكم توضيح هذه المسألة؟

بيرل: انتبهي، ولنحذر من الخلط ! احب فرنسا والفرنسيين كثيرا، والمشكلة بين فرنسا والولايات المتحدة الاميركية مشكلة ذات طابع حكومي، وبشكل ادق تقع عند المستوى الرئاسي مع جاك شيراك، لا ... طبعا، لا يمكن وضع فرنسا والعربية السعودية على المستوى نفسه، وعنوان الفصل الذي اشرت اليه لا يخفي هذا الايجاز الايديولوجي !

وانا اجتهد في تفسير الكيفية التي تطرح فيها السياسات التي تنتهجها فرنسا والعربية السعودية المشاكل الخطيرة، وللأسف، فان هذين البلدين ليسا بمفردهما في هذا الشأن، وانا اشرك المانيا أيضاً وروسيا اللتين تجتهدان أيضاً في معارضتنا ليس فقط حول مسالة التدخل العسكري في العراق ، بل وايضا حول ملفات اخرى واسعة مثل طرق واساليب تسوية المسألة الاسرائيلية . الفلسطينية وطريقة التفكير بعلاقاتنا مع الشرق الاوسط أو فهم اوربا . ان المشكلة مع فرنسا هي انها تبدو في غاية الكرم مع نظام آل سعود الذي يغذي بطريقة مؤكدة الحركات المتطرفة. وبدون شك فإن المحبة تجاه انظمة كهذه تحرض على دعم غير مباشر لاعداء الولايات المتحدة الاميركية ، افكر بشكل خاص بكل مشاريع التعبئة الايديولوجية للشباب الذين يوصيهم بعض المتطرفين بالحرب المقدسة لتدمير الحضارة الغربية ، إذا ليس بوسعي الا ان ارثي لغرابة الخيارات الدبلوماسية التي تنتهجها فرنسا والمانيا، المركز التأريخي في اوربا، ويجب انهاء الصلات الخطيرة.

لوفيغارو: كيف تعيبون على الرئيس جاك شيراك بخصوص مبادراته على المستوى الاوربي؟

بيرل: حاول جاك شيراك، برايي تطوير هوية فرنسية على المستوى الاوروبي، والعالمي، والتي بقيت بشكل سلبي من خلال المعارضة للولايات المتحدة الاميركية. كما عمل أيضاً من اجل مفهوم لاوروبا يتطور كثقل مواجه للولايات المتحدة الاميركية.

تجسد فرنسا في اطاره الطليعة لرؤية اوروبية مستقبلية. غير ان رؤية العالم هذه تبدو لي عقيمة كليا، فاوربا لم تكسب شيئا من مواجهة صارت منهجية مع الولايات المتحدة الاميركية، ان مثل هذه الالية في المعارضة حمقاء ، ولا سيما انها تفضي في النهاية إلى معارضة مبدئية ضارة باهدافنا المشتركة وبغاياتنا الخاصة، انه لامر مضحك ولا سيما إذا نظرنا إلى الامر على نحو اشمل، ان اهدافنا مشتركة جدا على الرغم من انقساماتنا، وخلافاتنا صغيرة جداً إلى الحد الذي تبدو فيه التوترات عبر الاطلسي ارتباكاً كبيراً.

ويحصل هذا بوجه خاص في نظام عالمي جديد يتطلب ضم الديمقراطيات . واصر على التوضيح بانني لست ضد توسيع اوربا وتوحيدها لكن بشرط ان تتحرك كحليفة وشريكة وليست عدوا كما انني مندهش من ان لا تثير هذه المسألة الكثير من النقاش في فرنسا.

لوفيغارو: بل اثارته، فقضيه العلاقات عبر الاطلسي في صميم النقاش الفرنسي!

بيرل : بالتاكيد ، لكنني احزن لان النقاشات تظل متمحورة حول المواجهة بين المصالح الايديولوجية بلا اسس، ففرنسا والمانيا توجهان لومهما الينا بانتظام لاننا نعتمد على حلفائنا في اوروبا، سواء كانت بولونيا ام ايطاليا، ومن خلال التنديد بالقوة الاميركية العظمى كما هو الحال في الغالب في بلدكم. حيث يلومونا على ما يسمى بـ حلفنا التهذيبي ورفضنا للتعددية القطبية، فان فرنسا لا تقصد في الحقيقة غير التعبير عن اسفها، لانها ليست الا قوة متوسطة لا تمتلك القدرات الاقتصادية والسياسية ليكون لها ثقل في النظام العالمي كما كان الحال خلال قرون، على فرنسا ان تتخلى عن هذا الشعور المؤذي لها وللعلاقات عبر الاطلسي وتحديد موضع اعدائها الحقيقيين.

لوفيغارو: إلى أي حد تعتقد بان شخصية جورج دبليو بوش تؤثر على نوعية العلاقات عبر الاطلسي؟

بيرل: تلقى المفكرون الاوروبيون،والفرنسيون بوجه خاص، على نحو سيء الانتخابات المتتالية لجورج دبليو بوش وصوروه مثل راعي بقر ليس له دماغ، جاهلا اميا رفظ واخيرا بعيد عن معاييرنا الثقافية، وتصرفوا بطريقة مماثلة مع رونالد ريغان الذي استخفوا به كثيرا لانه لم يكن مثقفا، ولكن التاريخ اثبت لهم العكس، كذلك فان المستقبل سوف يحكم لبوش بالصواب.

لوفيغارو: لماذا تدافع عن دخول تركيا إلى الاتحاد الاوروبي؟

بيرل: سوف يكون امام تركيا عدة اعوام قبل ان تدخل إلى الاتحاد الاوربي ، تركيا اليوم ديمقراطية علمانية، ومكان للتسامح تجاه مواطنيها ،ويكشف النقاش حول تركيا والذي يلهب اوربا وفرنسا بوجه خاص برأيي عن احد عوامل ضعفكم، أي ان لاوربا مشكلة تتعلق بدمج مسلميها في مجتمعها بتوافق وانسجام .

لوفيغارو: هل تقصد ان نموذجنا الاوروبي في الدمج ليس كفئا مثل البوتقة الاميركية، وقد يعرض التطور الهارموني لاوربا للخطر؟

بيرل: ان اسلوب الدمج على الطريقة الاوروبية يثير فضايا مهمة، والرد برأيي هو ذو طابع اجتماعي، تعززه اعتبارات اقتصادية، ربما تنقصكم الغطرسة والتفاخر الوطني لكن في بلدنا عندما يستطيع اي مهاجر ان يكتسب المواطنة الاميركية، فذلك فرح حقيقي بالنسبة له، فهو يريد لابنائه ان يكونوا ، اميركيين كليا ، ويتخلى الجيل الثاني طوعياً عن عادات الاجداد ليندمج بشكل فعال، ان الرغبة في الاندماج، في بلدنا، قوية ولا سيما انها تسمح بكل الامال، ونموذجنا السياسي والاجتماعي يقوم على الاستحقاق ، ولا يهم من اين اتيت أو من انت، انما عملك ونجاحك فقط سيؤخذان بالحسبان وبهذا الصدد اتذكر انني قرات مقالة اثارت اهتمامي في صحيفة نيويورك تايمز، قبل ثلاثة أو اربعة اعوام، بخصوص رجال الاعمال الفرنسيين القادمين للعمل في الولايات المتحدة الاميركية، فقال احد الاشخاص ان المسؤولين كانوا يرغبون بمعرفة المكانة التي اشغلها حاليا لكن لم يساله احد اطلاقا عن عمله الجامعي كما هي الحالة عندكم حيث يسألون الرجال الماهرين في اية مؤسسة اكملوا البكالوريا، في بلدنا هذا مستحيل، وهنا الاختلاف، فالحلم الاميركي ليس اسطورة بل ظاهرة حقيقية، على اوربا العمل على خلق الرغبة نفسها في الدمج التي تقوم على التفاخر.

ترجمة: زينب محمد
عن: لوفيغارو